المكانة السياسية والاجتماعية والدينية للمرأة في السودان القديم

أمل سليمان بادي

على الرغم من جهلنا بالدور الذي كانت تؤديه المرأة في العصور التي سبقت الفترة النبتية (٨٥٠–٣٠٠ ق. م) لغياب النصوص والشواهد الأثرية التي تشير إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في بلاد النوبة آنذاك؛ إلّا أننا نعتقد أنه كانت للمرأة مكانة مميزة في مجتمعات تلك العصور. فقد تم العثور على بعض التماثيل الصغيرة التي تصور نساء تلك الحقب وقد وضعت داخل القبور التي يرجع تاريخها لعهد المجموعات النوبية القديمة (١٥٥٠–٣٤٠٠ ق.م).[١] (A-Group, C-Group)* (شكل رقم ١).

إن وجود تماثيل للنساء دون العثور على تماثيل للرجال يشير إلى مكانة مميزة احتلتها المرأة إبان عصر تلك المجموعات.

شكل رقم (١): تمثال صغير لإمرأة يرجع لفترة المجموعة أ (St. Wenig :1979)

(١) Steffen Wenig, *Africa in Antiquity, vol.11,* The Brooklyn Museum, New York, 1979, pp. 116-128.

* اكتشف ج.أ. رايزنر سلسلة من الحضارات النوبية القديمة في منطقة النوبة السفلى لم يتمكن من التعرف على أصحابها فأسماها بالحروف (A. Group. B. Group. C. Group. X. Group) انظر:
G.A., Reisner, *Archaeological Survey of Nubia*, Report for 1909-1910, Vol. 3, Cairo, 1910, pp.300ff.

فوجود مثل هذه التماثيل في قبور أهل هاتين المجموعتين النوبيتين ربما كان يرتبط بمكانة المرأة الاجتماعية. كما إن صور الأميرات الكوشيات اللاتي يظهرن في مناظر الجزية التي يقدمها الكوشيون لملوك المملكة المصرية الحديثة تدل على دورٍ ما كانت تؤديه المرأة في مناسبات تقديم الجزية. ففي مقبرة الأمير جحوتي حتب في دبيرة شرق – والتي يعود تاريخها لعام ١٤٨٠ ق.م. تقريباً – يوجد منظر يصور عدداً من الكوشيين يقدمون الجزية المفروضة عليهم، وتظهر بين أفراد الوفد أميرة كوشية محمولة على مركبة.[٢]

أما في الفترة النبتية فقد بدأت شخصية المرأة الكوشية تظهر على مسرح الأحداث بصورة أكثر وضوحاً من الفترات التي سبقتها، حيث وردت أسماء بعض الملكات والأميرات في ألواح الملوك النبتيين. كما تعددت وظائف النساء فظهرت من بينهن السياسيات والعابدات الإلهيات وزوجات الملوك وأخواتهم. غير أنه وفي الفترة المروية (٣٥٠ ق.م – ٣٥٠م) برزت للمرأة مكانة سياسية أكثر أهمية جعلتها تتبوأ أعلى درجات السلم السياسي، حيث صارت في بعض الفترات الحاكمة المطلقة في المملكة المروية. وبالنظر لقيام المرأة ببعض الأدوار وتقلدها لعدد من الوظائف في السودان القديم جاءت هذه الدراسة لاستعراض جوانب من حياة المرأة عبر هذه الفترات، مع التركيز على الفترتين النبتية والمروية، والتي يطلق عليها اصطلاحاً "الدولة الكوشية". وسنحاول من خلال هذا العرض أن نتلمس مراحل التطور الذي عاشته المرأة أبان هاتين الحقبتين.

مكانة المرأة السياسية:

إنّ أول ظهور سياسي معروف لدينا يبرز مكانة المرأة كسياسية يرجع للفترة النبتية، وقد ارتبط هذا التطور بالملكة تابيري (Tabiry) ابنة الزعيم ألارا Alara وزوجة الملك

(٢) John H. Taylor, *Egypt and Nubia,* British Museum Press, London, 1993, P.34, Fig 38; Bruce G. Trigger, "Nubian, Negro. Black, Nilotic?", *Africa in Antiquity*, Vol.1, The Brooklyn Museum, New York, 1978, P.32, Fig 12

بي* (Piye بعانخي) (٧٥١–٧٣٠ ق.م.). فقد عثر جورج أندرو رايزنر (G.A. Reisner) على لوحة حجرية تخص هذه المملكة داخل قبرها بالكرو (Ku.53) وقد كُتِبَ عليها نص هيروغليفي يصفها بأنها سيدة البلاد الأجنبية.(٣)

إن إعطاء صفة سيدة أو زعيمة البلاد الأجنبية على الملكة تابيري فيه إشارة صريحة إلى ما كانت تمتاز به المرأة من مكانة سياسية مرموقة، والتي لاشك أنها مكانة مكتسبة من خلفية اجتماعية سابقة لهذه الفترة، إذ من الصعوبة أن نعتقد أن هذه الزعامة أعطيت لتابيري دون أن تكون هناك خلفية لوضع المرأة في السلم الاجتماعي والسياسي. وعلى الرغم من هذا النص الصريح، إلا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن دورها السياسي بشيء من التأكيد، إنما نعتمد بصفة خاصة على بعض الإشارات التي ترد في ألواح الملوك الكوشيين اللاحقين، كتلك الإشارة التي وردت في لوح النصر الخاص بالملك بي، والذي ذكر دور زوجاته اللاتي توسطن لديه ليعفو عن ناملوت (Namlot) ملك مدينة هيرموبوليس في مصر الوسطى.(٤) هذا بجانب الدور السياسي الذي كانت تقوم به الملكة الأم في إكمال مراسم تتويج ابنها. وسنتناول هذا الجانب بالتفصيل عند حديثنا عن مكانة المرأة الاجتماعية.

أما في الفترة المروية فقد حدث تطور سياسي مهم لمكانة المرأة حيث ظهر لأول مرة انفراد النساء المرويات بالحكم، وأصبحن يتولين أمور تسيير المملكة، واتخذن لأنفسهن ألقاباً ملكية كانت فيما مضى قاصرة على الملوك، كلقب (سارع نب تاوي) أي ابن رع سيد

* اعتاد بعض المؤرخين نطق هذا الاسم خطأ (بعانخي) غير أن دراسات لاحقة قام بها جان لوكلان أثبتت أن هذا الاسم يجب أن يقرأ بي وليس بعانخي انظر:
J. Leclant, *Oriertalistiche Literaturzeitung*, 61, Berlin, 1966, col. 552.

(٣) G.A. Reisner, "Outline of the Ancient History of the Sudan.VI. The First Kingdom of Ethiopia" *SNR*., Vol.2 1919, pp.41 -44; D. Dunham, The Royal Cemetries of Kush, El_Kurru, Vol.1, Museum of Fine Arts, Boston, 1950, P.87, 90, Pl.30A

(٤) E. A. W. Budge, *Egyptian Sudan*, London, 1907, Vol.2., pp.11 -26; A. H. Gardiner, "Pianki, Instructions to his Army", *JEA*, 21, 1935, pp. 219 -223

الأرضين. ولقب (سا رع نسوت بت) أي ابن رع ملك مصر السفلى والعليا.[٥] كذلك حملن اللقب كور ويعني ملك في اللغة المروية. وقد حملت الملكات أماني ريناس (Amanirenas) وأماني شختو (Amanishakheto)، بجانب الملكة ناوي دماك (Nawidamak)، هذا اللقب.[٦] هذا بالإضافة إلى اللقب المروي كنداكة وهي الملكة الحاكمة، وأصل اللقب من العبارة المروية كتي كي Ktke أو كداكه Kdke وتعني المرأة العظيمة.[٧] والثابت لدينا أن هناك أربع ملكات مرويات حملن هذا اللقب:

الكنداكة أماني ريناس

الكنداكة ناوي داماك

الكنداكة أماني شختو

الكنداكة مال قري ابر[٨]

إن أقدم ملكة معروفة لدينا هي بارتاري (Bartare) (ق٢٨٤-٢٧٥ ق.م.) والتي ينسب إليها الهرم Beg.S.10، فقد وجد خرطوش منقوش على الجدار الشمالي لمقصورتها الجنائزية مكتوب عليه "سا رع"، أي ابن رع، وهو لقب عادة ما يحمله الملوك. وكذلك حملت هذه الملكة لقب كلكي (Kalkai)، ويعتقد دنم (D.Dunham) أن هذا اللقب يقابل لقب كنداكة،[٩] غير أننا لا نعرف الكثير عن هذه الملكة سوى أن هرمها يعتبر أول هرم وجد

(٥) F. Hintze, *Studien zur Meroitischen Chronologie und zu der Opfertafeln aus der Pyramiden von Meroe* (Abhandlungen der Deutschen Akademie der Wissenschaste zu Berlin. Klasse für Sprachen Literatur und Kunst, Jahrgang 1959) Nr.2, Berlin, 1959, pp. 36 -39.

انظر أيضاً: أحمد محمد علي الحاكم وأ. هربك وج. فركوتير، "حضارة نباتا ومروي"، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، ١٩٨٥م، ص ٣٠٧.

(٦) M.F. Laming Machadam, "Queen Nawidemak", *Allen Memorial Art Museum Bulletin*, Vol. 23, No.2, 1966, p. 58

انظر أيضاً: عمر حاج الزاكي، الإله آمون في مملكة مروي (٧٥٠ ق.م-٣٥٠م)، جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م، ص١٢١.

(٧) F.L. Griffith, *Meroitic Inscriptions Part 1*, London, 1911, P. 55

(٨) M.F.Laming Macadam, op.cit., pp. 42, 71

(٩) D. Dunham, *The Royal Cemeteries of Kush*, Vol. IV, Museum of Fine Arts, Boston, 1957, P.47

لإمرأة وسط أهرامات الملوك وبنِيَ في حجم مساوٍ لأهراماتهم إذ اعتاد الملوك الأوائل أن يفردوا للملكات أماكن دفن في مكان غير المكان الذي تبنى فيه قبورهم، كما هو الحال في جبانة الكرو. أما في جبانة نورى فقد وجدت بعض أهرامات الملكات بالقرب من أهرامات الملوك، إلا أنها كانت أصغر حجماً. غير أن الحال اختلف في جبانة البجراوية (الجنوبية – الشمالية) إذ أصبحت مقابر الملكات تبنى وسط مقابر الملوك دون أن يكون هناك أي تمييز بينهما في الحجم، بل إن بعض أهرامات الملكات أحياناً تكون أكبر من أهرامات الملوك.

كذلك من الملكات المرويات الملكة شنكدخيتو (Shanakdakheto) (١٧٧–١٥٥ق.م.) والتي دفنت في الهرم (Beg.N.12)، وهي أول ملكة مروية معروفة لدينا تستخدم اللغة المروية في كتابة اسمها وألقابها بحروفها الهيروغليفية.(١٠) فقد عثر ريتشارد لبسيوس (R. Lepsius) في النقعة على معبد أطلق عليه اسم (Temple F)، وقد وجد اسمها وألقابها مكتوبةً داخل خرطوش على الجانب الأيمن لباب هذا المعبد في الداخل.(١١) (شكل رقم ٢).

ربما كانت الملكة أماني ريناس (Amanirenas) والتي يعتقد بأنها مدفونة داخل الهرم Beg.N.21 من أشهر الملكات المرويات، فقد أشار استرابو (Strabo) إلى إحدى الملكات المرويات دون تحديد اسمها، فيقول إنها خاضت حرباً ضد الرومان وأنّ قيادة جيوشها قد أوكلت إلى ابنها الأمير دون ذكر اسمه أيضاً، ووصف استرابو هذه المرأة بأنها عوراء مسترجلة.(١٢)

ونحن لا ندري إن كانت هذه الملكة هي أماني ريناس أم أماني شختو، إذ أن كلتا الملكتين عاصرتا عهدَ الرومانِ. ويرى هينتزا (Fr. Hintze) أن الملكة المقصودة هي أماني ريناس وأن زوجها الملك ترتيقاس (Teriteqas) كان قد شهد معها المناورات الأولى مع

(١٠) عبد القادر محمود عبد الله، اللغة المروية، الجزء الأول، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦، ص ١٥٠.

(١١) F.L. Griffith, Op.cit., p. 66

(١٢) Strabo, *The Geography of Strabo*, Book 17, Trans. C.H. Old Father, London, 1933, pp. 70 -77

الرومان وأصبح ابنها الأمير أكينداد (Akinidad) قائداً للجيوش المروية بعد وفاة ترتيقاس. وربما كان أكينداد هذا هو الأمير الذي ذكره استرابو والذي قاد المفاوضات مع الرومان.[١٣] وقد دعم هينتزا رأيه هذا باللوح الحجري الذي وجد بالحامداب، والذي يجمع بين أماني ريناس وأكينداد.[١٤] ولم يتمكن العلماء من فهم محتوى النص لمعرفة الصلة التي تجمع بين أماني ريناس وأكينداد وذلك لأن النص كُتب باللغة المروية.

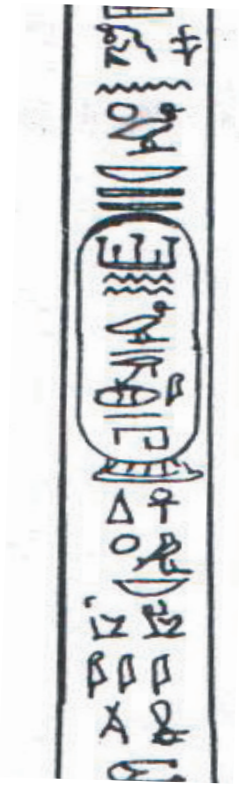

شكل رقم (٢) نقش الملكة شنكدخيتو (عبد القادر محمود: ١٩٨٥)

أما الملكة ناوي داماك فهي الملكة الوحيدة التي وجد اسمها مكتوباً في البركل (Bar.6)، وقد عاشت هذه الملكة في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد. وقد اختلف علماء المرويات في قراءة اسمها، إلا أن مكادم (M.F.L. Macadam) تمكن من تحديد قراءة اسمها بصورة صحيحة من خلال دراسة أجراها على لوحة ذهبية عليها نص مكتوب بالخط المروي المختزل يظهر فيه اسمها بوضوح. وقد حملت هذه الملكة لقب qere (كور)، بمعنى ملك أو حاكم في اللغة المروية، على الرغم من أنها امرأة.[١٥] (الشكل رقم ٣).

ويعتبر هرم الملكة أماني شختو (Beg. N.6) أكبر أهرامات البجراوية الشمالية على الإطلاق، إذ تبلغ أبعاده عند القاعدة ١٧,٩٠×١٧,٩٠ متراً، إلا أنه تعرض للدمار بفعل الطبيب الإيطالي فرليني (J. Ferlini) في عام ١٨٣٤م، وذلك عندما قام بتفكيك أعلى هذا الهرم بحثاً عن الذهب. فقد ذكر فرليني أنه وجد في أعلى هذا

(١٣) Fr. Hintze, "Meroitic Chronology: Problems and Prospects" in: *Meroitica: Schriften zur Alsudanesischen Geschichte und Archeologie*. Vol.1, Berlin, 1973, pp. 127 - 144

(١٤) Id, "The Meroitic Period" *Africa in Antiquity,* I, pp 99 - 100

(١٥) M.F.L. Macadam, Op.cit., PP. 43 - 58

الهرم ذلك الكنز المشهور الذي ارتبط باسم هذه الملكة.[١٦] (الشكل رقم ٤). كما عُثِر على آثار لهذه الملكة في منطقة ود بانقا عبارة عن قصر ومخازن عُثِر بداخلها على سبائك ذهبية وقطع من العاج. هذا بالإضافة إلى ما يعتقد بأنه كان صومعة غلال.[١٧]

يبدو أن المملكة المروية قد شهدت نوعاً من الانتعاش الاقتصادي إبان عهد هذه الملكة، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن فترة حكمها تزامنت مع تلك الفترة التي اتسمت فيه العلاقات المروية الرومانية بالطابع الودي، خاصة بعد أن وقَّع المرويون صلحاً مع الرومان فانتعشت التجارة بين الطرفين.

شكل رقم (٣) نقش الملكة ناوي داماك
(M.F.L. Macadam: 1992)

وتعتبر فترة حكم الثنائي الملكي الملك نتكأماني (Natakamani) (Beg.N.22) وزوجته الملكة أماني توري (Amanitore) (Beg.N.1) من أزهى فترات المملكة المروية بسبب النشاط العمراني الذي شهدته تلك الفترة. فقد قام هذا الثنائي الملكي ببناء عدد من المعابد في كل من مروي والنقعة والبركل وتبو.

ويرى د. دنم أن هذين الزوجين اللذين عادة ما يظهران سوياً، قد حكما منفصلين فأعطى نتكمني فترة حكم تمتد من السنة الأولى الميلادية وحتى السنة الخامسة والعشرين، أما زوجته أماني توري فيرى أنها أعقبته في الحكم في الفترة من عام خمسة

(١٦) Karl-Heinz Priese, *Das Gold von Meroe*, Verlag Phillip von Zabern Main, Berlin, 1992, pp. 20ff

(١٧) J.Vercoutter, "Un Palais des Candaces Contemporain d'Auguste Fouille a Wad-ben-Naga 1958 - 1960", *Syria*, 39, Paris, 1962, pp. 263ff

شكل رقم (٤) حلي ذهبية
خاصة بالملكة أماني شختو
(Karl-Heinz Priese: 1992)

وعشرين ميلادية حتى العام الحادي والأربعين الميلادي.[١٨] لكن هينتزا يعتقد أن هذين الزوجين حكما كشريكين في الفترة من السنة الأولى وحتى السنة العشرين الميلادية.[١٩] ويبدو أن رأي هينتزا هو الأكثر قبولاً من رأي دنم وذلك بسبب ظهور هذا الثنائي جنباً إلى جنب في كثير من المناظر التي تصورهما في كل الآثار التي تركاها؛ بينما لا نجد أي أثر عمراني قامت به هذه الملكة في الفترة التي يرى دنم أنها حكمت فيها المملكة منفردة.

وبعد عهد هذا الثنائي الملكي بدأت الحضارة المروية تأخذ طريقها نحو الزوال، وبدأ الضعف يدب في أوصالها. وقد انعكس هذا الضعف على العمارة الجنائزية، حيث وُجِدَت الكثير من الأهرامات التي يرجع تاريخها لهذه الفترة قد شيدت بطريقة تنعدم فيها الناحية الهندسية ويكاد بعضها يخلو من النقوش. لكن بالرغم من ذلك فقد ظلت ظاهرة حكم النساء مستمرة في المملكة، فقد تم العثور على هرم يحمل اسم الملكة أماني ختاشان (Amanikatashan) (٦٠–٨٥ م) صاحبة الهرم (Beg.N.18). ومما يؤكد استمرار حكم الملكات هو ما ذكره بليني (Pliny) عندما تحدث عن البعثات التي أرسلها الإمبراطور الروماني نيرو (Nero) (٥٤–٦٨م) إلى مروي، حيث يقول بليني: إن هذه الوفود وجدت أنّ المملكة المروية كانت تحكمها امرأة.[٢٠]

(١٨) D. Dunham, op.cit., p. 7

(١٩) Fr. Hintze, *Africa in Antiquity*, Vol. II, pp. 16 -17

(٢٠) Pliny, *Natural History*, Book VI, Trans. H. Hackham, London, 1938, p. 477

ربما كانت الملكة المقصودة هذه، وحسب قائمة هينتزا، هي الملكة أماني ختاشان إذ إن فترة حكمها كانت تعاصر، ولمدة ست سنوات، فترة حكم الإمبراطور نيرو.

وقد أعقب حكم هذه الملكة عدد من الملكات المرويات نذكر منهن مال قري أبر (٢٦٦-٢٨٣) صاحبة الهرم رقم (Beg.N.27) والتي حملت لقب كنداكة. هذا بالإضافة لعدد من الملكات المرويات غير المعروفات، مما يؤكد استمرار ظاهرة حكم النساء حتى نهاية المملكة المروية.

بجانب مكانة المرأة السياسية كان هناك دورٌ آخر قامت به المرأة، وهو دورها كمحاربة. فقد أشار استرابو في روايته إلى الملكة المروية التي حاربت الرومان، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً. ويظهر ذلك جلياً من خلال المناظر التي نُقشت على بعض جدران بعض المقصورات الجنائزية بالبجراوية الشمالية. فقد صُورت الملكة أماني شختو على الواجهة الشرقية الخارجية لمقصورتها الجنائزية الملحقة بهرمها بالبجراوية الشمالية وهي تمسك بيدها اليمنى عدداً من الأسرى بينما تمسك باليد الأخرى أدوات حربية.[٢١] (شكل رقم ٥).

كذلك ظهرت الملكة أماني توري على الجزء الشمالي من واجهة معبد الأسد (Pylon) بالنقعة وهي تمسك بيدها مجموعةً من الأسرى المقيدين، وعددهم تسعة أسرى يمثلون شعوباً مختلفة، بينما تمسك باليد اليسرى سيفاً رفعته لتهوي به على رؤوس هؤلاء الأسرى.[٢٢]

ولكن لا يعرف على وجه التحديد ما إذا كانت الملكة القائدة هي التي تقود الجيوش بنفسها أم توكل أمر ذلك إلى أحد الأمراء، كما فعلت الملكة أماني ريناس، وتصبح الملكة بحكم منصبها قائداً اسمياً للجيوش.

(٢١) E.S. Chapman and D. Dunham, *The Royal Cemeteries of Kush*, Vol.III, Museum of Fine Arts, Boston, 1952, Pl.16AB

(٢٢) P.L. Shinnie, *Meroe A Civilization of the Sudan*, Thames and Hudson, London, 1967, P.90, fig.24

مكانة المرأة الاجتماعية:

حظيت المرأة الكوشية بمكانة اجتماعية ممتازة سواء أكانت أماً ملكيةً أو زوجةً وأختاً ملكية. وظهورها في هذه الصور الثلاث يعكس الدور المؤثر والفعال الذي تقلدته في سلم المجتمع الكوشي، كما يشير إلى وضعها بين أفراد الأسرة الحاكمة.

جدول (١) يوضح أهم ملكات المملكة الكوشية (نبتة – مروي)

الملكة	قائمة دنم		قائمة هينتزا	
	الهرم	التاريخ	الهرم	التاريخ
بارتاري	Beg.S.10	٢٥٧ – ٢٨٤ ق.م	Beg.S.10	٢٥٠ – ٢٦٠ ق.م
شنكدخيتو	Beg.N.12	١٥٥ – ١٧٧ ق.م	Beg.N.11	١٥٠ – ١٧٠ ق.م
ملكة غير معروفة	ملكة غير معروفة		Bar.4	تاريخ غير محدد (٩٠ – ٥٠ ق.م)
أماني ريناس	Bar.4	٨٤–٩٩ ق.م	Beg.N.21	تاريخ غير محدد (٤٠ – ١٠ ق.م)
ناوي داماك	Bar.6	٤٣–٥٦ ق.م	Bar.6	تاريخ غير محدد (٩٠ – ٥٠ ق.م)
أماني شختو	Beg.N.6	٢٠–٢٦ ق.م	Beg.N.6	١٢–٤١ ق.م
ملكة غير معروفة	Bar.10	٠–١٠ م	ملكة غير معروفة	
أماني توري	Beg.N.1	٢٥–٤١م	Beg.N.1	٠–٢٠م
أماني ختاشان	Beg.N.18	٩٣–١١٥م	Beg.N.8	٦٢–٨٥م
مال قري ابر	ملكة غير معروفة		Beg.N.27	٢٦٦–٢٨٣م
ملكة غير معروفة	Beg.N.32	٢٠١–٢٠٥م	ملكة غير معروفة	
ملكة غير معروفة	Beg.N.26	٣١٧–٣٢٩م	Beg.N.26	٣٠٠–٣٠٨م
ملكة غير معروفة	ملكة غير معروفة		Beg.N.25	٣٠٨–٣٢٠م

ومن خلال دراستنا للمناظر التي تُرْسَم على اللوحات الملكية، خاصة تلك التي تؤرخ لمناسبات التتويج، تتضح لنا مكانة الأم الملكية في مثل هذه المناسبات. ولعل دور الأم الملكية في أداء هذه الطقوس المتصلة بالتتويج كانت من الأهمية بمكان حيث إنها كانت تحتل مكاناً بارزاً في الجزء الأعلى من اللوحة وتخاطب الإله آمون.(٢٣) وقد أظهرت ألواح بعض الملوك الكوشيين هذا الدور. ففي لوح الفيضان الذي يخص الملك تهارقا (Taharqa)، ويعود للسنة السادسة من حكمه، يذكر النص قدوم الملكة الأم آبار (Abar) إلى مصر لتشاهد مراسم تتويج ابنها في صورة الإله حورص وهو يجلس على عرش أبيه الإله أوزريس.(٢٤)

شكل رقم (٥) الملكة أماني شختو
تمسك بأعدائها
Beg. N. 6 (E.S Chapman: 1957)

كما ذكر الملك أنلماني (Anlamani) أنه عندما وصل إلى قم با آتون (الكوة) استدعى أمه الملكة نسالسا (Nasalsa) لتشاهده جالساً على العرش.(٢٥) وفي مناسبة أخرى وعلى لوحة التتويج الخاصة بالملك اسبلتا تظهر الملكة الأم نسالسا وهي تقف في مواجهة ابنها

(٢٣) أحمد محمد علي الحاكم و أ. هربك وج. فركوتير، "حضارة نباتا ومروي"، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، هيئة اليونسكو، ١٩٨٥، ص٣٠٦. انظر أيضاً صلاح عمر الصادق، نساء حكمن السودان قديماً: نساء وملكات مملكة مروي (٩٠٠ق.م–٣٥٠م)، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم ٢٠٠٢، ص٦.

(٢٤) M.F.L.Macadam, *The Temple of Kawa*, Vol.1, Inscr., Oxford University Press, London, 1949, Inscr.V, PP.16 -21

(٢٥) Id, op.cit., Inscr. VIII, PP. 44ff

الملك اسبلتا (Aspelta) الذي جثا على ركبتيه بينها وبين الإله آمون، وتطلب من الإله آمون رع سيد تاج الأرضَيْنْ أن يهب عرش الإله آمون رع لابنها.[٢٦] (شكل رقم ٦).

كذلك يذكر الملك أماني نتي يركي (Amani-nete-yerike) حضور والدته إلى قم با اتون أثناء تتويجه ملكاً على العرش.[٢٧] ولم يقتصر ظهور صور الملكة الأم على ألواح التتويج فحسب، بل ظهرت كذلك صورهن على جدران المعابد. ففي معبد البركل (B-300) هناك مشهد يصور الملكة الأم آبار مع ابنها تهارقا وهي تقدم تمثال معات (العدالة) للإله آمون وزوجته الإلهة موت.[٢٨]

وعلى جدران المقصورات الجنائزية الملحقة بأهرامات البجراوية الشمالية تظهر الأم الملكية خلف ابنها المتوفى تشاركه استلام القرابين المقدمة إليه، مما يشير إلى مكانتها الدينية.[٢٩] (شكل رقم ٧).

في ختام حديثنا عن الملكة الأم نورد قائمة تضم أسماء بعض الملكات الأمهات اللاتي ورد ذكرهن في ألواح بعض الملوك، وكذلك أسماء أبنائهن الملوك.[٣٠] ومما يجدر ذكره هنا صعوبة التعرف على أسماء أمهات الملوك في الفترة المروية وذلك بسبب عدم توفر النصوص المروية التي تشير إلى ذلك.

ومن ناحية أخرى، وإبان الفترة المروية المتأخرة، نجد أن تعظيم الأمهات غير الملكيات قد ورد في لوحات القرابين المكتوبة بالخط المروي المختزل والتي تخص كبار موظفي المملكة

(٢٦) E.A. Wallis Budge, *Book on Egypt and Chaldaea, Egyptian Literature II, Annals of Nubian Kings*, London, 1912, pp. 89ff

(٢٧) M.F.L. Macadam, op.cit., Vol.I, Inscr., Pl 22, p. 105ff

(٢٨) B. Porter and R.L.B. Moss, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Text*, Reliefs, and Paintings, Vol.7, Nubia, the Deserts and outside Egypt, Oxford, 1952, p 209

(٢٩) E.S.Chapman, op.cit., Pls. 4A, 7AB,11AC

(٣٠) Dows Dunham and M.F.Laming Macadam, "Names and Relationship of the Royal Family of Napata", *JEA*, Vol.36, 1950, pp. 139 -149

المروية. فقد كشفت هذه اللوحات عن حرص أصحابها على الانتساب إلى الأم قبل الأب. فكان الواحد منهم يُعرِّف نفسه بأنه فلان ابن فلانة ابن فلان، [٣١] مما يشير إلى مكانة الأم في نفوس المرويين.

شكل رقم (٦) الجزء الأعلى
من لوحة الملك أسبلتا
(E.A.W Budge: 1912)

لم تقتصر مكانة المرأة على الأم الملكية فحسب، إنما كان للأخت الزوجة الملكية مكانتها الممتازة. ويأتي ربطنا للقب الأخت الزوجة الملكية معاً نتيجة لعادات الملوك الكوشيين المتمثلة في زواج الملوك من أخواتهم، كما فعل الملك بي بزواجه من أخواته الأربع بكاستر (Pekaster) وآبار وخنسا (Khensa) وتايبري. وكذلك فعل فيما بعد الملك شبتكو (Shebitko) بزواجه من أختيه أرتي (Arty) وكلهاته[٣٢] (Qalhata)، فأصبح تقليداً اتبعه الملوك الكوشيون اللاحقون. ويبدو أن الغرض من هذا التقليد هو الحفاظ على الدماء الملكية النقية داخل الأسرة. وتشير لوحة النصر الخاصة بالملك بَيْ إلى مكانة أخوات الملك وزوجاته وذلك حينما طلب الملك ناملوت من زوجته الذهاب إلى نساء الملك بي للتوسط له.[٣٣] ولعل في اختيار زوجة ناملوت للقيام

شكل رقم (٧) الملكة الأم تقف
خلف ابنها الملك بالبجراوية
(E.S Chapman: 1957)

(٣١) عمر حاج الزاكي، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٣٢) Dows Dunham and M.F. Laming Macadam, *op.cit.*, p. 149; M.F.L. Macadam, *op.cit.*, p.148ff

(٣٣) E.A.W. Budge, *op.cit.*, pp. 11 - 26; A.H. Gardiner, *op.cit.*, pp. 219 - 223

بالوساطة عند الملك بي عبر زوجاته ما يشير إلى معرفتها بمكانة المرأة في المجتمع الكوشي وتأثيرها المباشر على أمور الحكم.

وقد برزت مكانة الأخت والزوجة الملكية بصورة واضحة من خلال نظام توريث الحكم المتبع في الدولة الكوشية. فقد كانت وراثة العرش الكوشي تنتقل عن طريق الأم[٣٤]

جدول (٢) يوضح الأمهات الملكيات في المملكة الكوشية (نبتة – مروي)

الملكة الأم	الملك الابن
بيباتما Pebatma	بعانخي Pi'ankhy
تابيري Tabiry	شبكو Shabako
" "	خاليوت Khaliut
" "	شبتكو Shebitka
أبار Abar	تهارقا Taharqa
كلهاته Qalhata	تانوت أمني Tanwetamani
سالكا Salka	اتلنيرسا Atlanersa
مالترال Maletral	سنكامانسكن Senkamanisken
نسالسا Nasalsa	انلماني Anlamani
نسالسا Nasalsa	اسبلتا Aspelta
حنوت تخبت Henut-takhebit	امتلكو Amtalqa
اماني تاكي Amanitakaye	مالیناقن Malenagen
اتاسمال Atasmale	حرسيوتف Harsiotef
بلخا Pelkha	نستاسن Nastasen
أماني ريناس Amanirenas	أكينداد Akinidad
أماني توري Amanitore	شيراكارير Sherkarer

(٣٤) دولت يوسف أحمد، المرأة في مملكة كوش ٧٥٠ ق.م. – ٥٠ م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الخرطوم، ١٩٩٦م، ص ٦–١٠.

(Matrilineal System of Succession). وقد ذكر الملك تهارقا في لوحته أن جده الزعيم ألارا وهب أخته للإله آمون، معطي الملكية، وطلب منه أن يجعل الحكم لها ولأبنائها.[٣٥] وقد استجاب الإله آمون لرجاء ألارا وحصر الملك في أبناء أخواته وأحفادهن، وهذا ما أكده أسبلتا في لوحته عند مطالبته بالعرش، فأَرجع نسبه إلى ست من جداته الأخوات الملكيات فاستحق بذلك وراثة العرش.[٣٦] كذلك تُظْهِرُ المناظر التي صُوّرت على ألواح الملوك وتلك التي نقشت على جدران المعابد، مكانة الأخت والزوجة الملكية وهي تحمل في يديها الشخشيخة* (Sistrum)، مما يعني مشاركتهن في مراسم عملية التتويج.[٣٧] كما يظهرن خلف الملك والأم الملكية في بعض المقصورات الجنائزية بالبجراوية الشمالية، يشاركن الملك استلام النذور المقدمة إليه.[٣٨]

إن اهتمام الملوك بأمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وحرصهم على تخصيص مساحة واسعة لهنَّ في العديد من المناسبات الدينية وظهورهن بجانب الملوك يعكس المرتبة السامية التي كُنَّ يشغلنها.

مكانة المرأة الدينية:

كان للمرأة الكوشية مكانة دينية مرموقة. فإذا كنا لا نعرف الكثير عن الأحوال الدينية في الفترات التي سبقت الفترة النبتية، فإن وضع تماثيل للنساء داخل قبور سكان حضارة المجموعات النوبية ربما يشير إلى معتقدات دينية متعلقة بالمرأة كانت سائدة آنذاك. وفي معرض حديثنا عن دور المرأة الديني سنتناول منصب العابدة الإلهية (Divine Adoratrice) زوجة آمون، وكذلك منصب العازفة الدينية.

(٣٥) M.F.L. Macadam, *op.cit*., p. 14

(٣٦) E.A.W. Budge, *op.cit*., pp. 60 -65

* آلة إيقاع موسيقية.

(٣٧) B. Porter and R.L.B. Moss, op.cit., p. 209

(٣٨) E. S. Chapman, op.cit., Pls. 4E, 5A, 12B

فقد كان منصب العابدة الإلهية زوجة آمون منصباً دينياً مهماً ظهر لأول مرة في السنوات الأولى من عهد الأسرة الثامنة عشرة. فقد كانت الأميرتان عنخ حتب وأحمس نفرتاري – أول من شغلتا هذا المنصب الديني الذي يتيح لشاغلته السيطرة على الثروات والكنوز المكدسة في معابد الإله آمون بالكرنك. وقد ظل هذا المنصب قاصراً على الأميرات المصريات، ولكن منذ عهد الأسرة الحادية والعشرين الليبية انتقل اللقب إلى ابنة الملك التي أصبحت زوجة ملكية مكرسة للإله آمون.[٣٩] ونتيجة لأهمية هذا المنصب قام ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بتحويل هذا المنصب لبناتهم، وذلك حينما أجبر الملك كاشتا الأميرة شبنوبت الأولى (Shepenwepet I) ابنة الملك الليبي أوسركون الثالث (Osorkon III) على تبني ابنته الأميرة أمنرديس (Amenirdis) لتخلفها في هذا المنصب. (شكل رقم ٨).

وبعد وفاة الأميرة الليبية شبنوبت تبنت الأميرة أمنرديس بدورها الأميرة الكوشية شبنوبت الثانية (Shepenwepet II) ابنة أخيها الملك بي وأخت تهارقا على أن تتبنى فيما بعد ابنة تهارقا أمنرديس الثانية.[٤٠]

وعقب فقدان الأسرة الخامسة والعشرين لمصر انتقل هذا المنصب مرة ثانية للأسرة الليبية، فتقلدته الأميرة نيتوكريس (Nitocris) ابنة الملك بساماتيك الأول[٤١] (Psamatic I).

ويدل حرص ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على احتكار هذا المنصب وتنصيب بناتهم فيه، على أهميته وبالتالي أهمية النساء اللاتي حملن هذا اللقب.

(٣٩) جان بويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٧٧.

(٤٠) سليم حسن، تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م، الصفحات ٥٠٤–٥٠٧. أنظر أيضاً: ج. لكلان، "إمبراطورية كوش: نباتا مروي"، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، منظمة اليونسكو، ١٩٨٥م، ص ٢٨٥.

(٤١) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، الجزء الثالث، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م، ص ٣٥٣.

وبجانب هذا المنصب الديني المهم هناك وظيفة أخرى انحصرت في النساء؛ ألا وهي وظيفة العازفة الإلهية. فقد جاء في لوح الملك أنلماني أنه وهب أخواته الأربع لمعابد الإله آمون في كل من معبد جبل البركل وصنم أبو دوم والكوة وبنوب كعازفات إلهيات للإله آمون.(٤٢) كما إن الملك اسبلتا أفرد لوحاً خاصاً لتعيين ابنته حموت تاخت في منصب العابدة الإلهية خلفاً لوالدتها مدكن، وقد حضر هذا التنصيب كل من مدكن والملكة الأم نسالسا. هذا بالإضافة إلى كبار رجال الدولة الذين قدموا إلى معبد سنام أبي دوم من أجل حضور مراسم تنصيب الأميرة حموت تاخت كاهنة في معبد الإله آمون. وقد خُصِصَ راتبٌ لهذه الأميرة وَقَّع الحاضرون عليه.(٤٣)

كما تُظهر المناظر التي نقشت على بعض المقصورات الجنائزية الملحقة ببعض أهرامات البجراوية الشمالية، الأميرات وهن يحملن في أيديهن الشخشيخة والإبريق الذي يصب منه الماء المقدس، وعادةً ما يقفن خلف الملك أو الملكة المتوفيين،(٤٤) وفي ذلك إشارة إلى وظيفة دينية معينة تؤديها هؤلاء النسوة. كما إن هناك خاتم يخص الملكة أماني شختو نقش عليه صورة الملكة وقد ارتدت زي الكهنة المصنوع من جلد الحيوان (فهد) وهي تقف في مواجهة الإله آمون(٤٥)

شكل رقم (٨) تمثال العابدة الإلهية أمنرديس
(Herman, *et al.*: 1961)

(٤٢) 16-50, Pls 15-M.F.L. Macadam, op.cit., pp. 44

(٤٣) E.W. Budge., op.cit., pp. 22 -26

(٤٤) E.S.Chapman, op.cit., Pls. 3ab,5,7b

(٤٥) Karl-Heinz Priese, op.cit., p. 44

(شكل رقم ٩)، وهو دور لا يقوم به إلّا ملك أو كبير كهنة الإله آمون، مما يدل على علو مكانتها الدينية.

من خلال تتبعنا لهذه الوظائف المتعددة التي تقلدتها المرأة الكوشية يتضح لنا أن المجتمع الكوشي وعبر تاريخه الطويل قد أفرد مساحة واسعة لإظهار الدور الكبير الذي كانت تؤديه المرأة.

شكل رقم (٩) الملكة أماني شختو ترتدي زي الكهنة
(Karl-Heinz Priese, 1992)

المراجع العربية:

- أحمد محمد علي الحاكم وأ. هربك وج. فروكتير، حضارة نباتا ومروي، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني اليونسكو، ١٩٨٥م.
- جان يويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، ١٩٦٦م.
- دولت يوسف، "المرأة في مملكة كوش ٧٥٠ ق.م. – ٥٠م"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الخرطوم ١٩٩٦م.
- سليم حسن، تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- صلاح عمر الصادق، نساء حكمن السودان قديماً: نساء وملكات مملكة مروي (٩٠٠ق.م-٣٥٠م)، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم ٢٠٠٢م.
- عبد القادر محمود عبد الله، اللغة المروية، الجزء الأول، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦م.

- عمر حاج الزاكي، الإله آمون في مملكة مروي (٧٥٠ ق.م. ــ ٣٥٠م)، جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م.

- ج. لكلان، إمبراطورية كوش: نباتا مروي، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، اليونسكو، ١٩٨٥م.

- محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، الجزء الثالث، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

المراجع الأجنبية:

- Budge, E. A. W., Egyptian *Sudan, it's History and Monuments* Vol. I. London, 1907.

- ----------, *Book of Egypt and Chaldaea, Egyptian Literature*, *Annals of Nubian Kings*. London, 1912.

- Chapman, S. E., and D. Dunham, *The Royal Cemeteries of Kush, Vol. III, Decorated Chapels of the Meroitic Pyramids at Meroe and Barkal*. Museum of Fine Arts, Boston, 1952.

- Dunham, D., *The Royal Cemeteries of Kush, El-Kurru, Vol. I.* Museum of Fine Arts, Boston, 1950.

- ----------, *The Royal Cemeteries of Kush, Royal Tombs at Meroe and Barkal,Vol. IV.* Museum of Fine Arts, Boston, 1957.

- Dunham, D., and M.F.L. Macadam, "Names and Relationships of the Royal Family of Napata", *JEA*, 35, 1950, pp. 139-149.

- Gardiner, A.H., "Pianki Instructions to his Army" *JEA*, 21, 1935, pp. 219-223.

- Grifith, F. Ll. *Meroitic Inscriptions, Part I, Soba to Dangel*. London, 1911.

- Hintze, F., *Studien zur Meroitischen Chronologie und zu der Opfertafeln aus der Pyramiden von Meroe*. Abhandlungen der deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin. Klass für Sprachen Literatur und Kunst, Jahrgang 1959, Nr. 2, Berlin, 1959.

- ----------, "Meroitic Chronology: Problems and Prospects", in *Meroitica Schriften zur Alsudanesischen Geschechichte und Archeologie* Vol. I. Berlin, 1973.

- ----------, "The Meroitic Period", *Africa in Antiquity* Vol. I. The Brooklyn Museum, New York, 1978.

- Leclant, J., *Oriertalistiche Literaturzeitung* 61. Berlin, 1966.

- Macdam, M.F. Laming, *The Temples of Kawa*, Vol. I, Inscr. Oxford University Press, London, 1949.

- ----------, "Queen Nawidemek" *Allen Memorial Art Museum Bulletin*, Vol. 23, No. 2, 1966.

- Pliny, *Natural History*, Book VI, Trans. H. Hackham. London, 1938.

- Porter, B., and Moss R.L.B., *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Text, Reliefs and Paintings*, Vol.7, Nubia, The Deserts and Outside Egypt, Oxford, 1952.

- Priese, Karl-Heinz, *Das Gold von Meroe*. Verlag Phillip von Zabern Main, Berlin, 1992.

- Reisner, G.A., *Archaeological Survey of Nubia*, Report for 1909-1910. Cairo, 1910.

- ----------, "Outline of the Ancient History of the Sudan VI, The First Kingdom of Ethiopia", *SNR*., Vol.2, 1919.

- Shinnie, P.L., *Meroe A Civilization of the Sudan*. Thames and Hudson, London, 1967.

- Strabo, *The Geography of Strabo*, Book 17, Trans. C. H. Old Father. London, 1933.

- Taylor, John H., *Egypt and Nubia*. British Museum Press, London, 1993.

- Trigger, Bruce G., "Nubian Negro Black Nilotic?" *Africa in Antiquity*, Vol. I. The Brooklyn Museum, New York, 1978.

- Vercoutter, "Un Palais des Candaces Contemporrain d'Auguste Fouille a Wad-ben-Naga, 1958-1960", *Syria*, 39. Paris, 1962.

- Wenig, Steffen, *Africa in Antiquity*, Vol. 2. The Brooklyn Museum, New York, 1979.